تاريخ استقبال المقال: 01 /2016/05 تاريخ قبول نشر المقال:14 / 2017/04 تاريخ نشر المقال: 01/ 2018/03

الدين وعلاقته بالصحة والمرض

مقاربة انثروبولوجية في انتشار أشكال مختلفة من العلاجات الدينية بالمجتمع الجزائري

د. الطيب العماري جامعة محمد خيضر – بسكرة.

Lammari2006@yahoo.fr

الملخص:

بالرغم من الثورة العلمية الباهرة في ميادين الطب المختلفة ، والتي استطاعت أن تجيب الإنسان عن كثير من أسئلته المرتبطة بقضايا الصحة والمرض، فإننا نلاحظ في السنوات الأخيرة عودة واسعة النطاق وفي مناطق كثيرة من العالم إلى ممارسات و أشكال عديدة من التطبيب والعلاج التقليدي، خاصة منها العلاج الديني. وفي العالم الإسلامي فان هذا الشكل من العلاجات يتخذ له من القرآن والسيرة النبوية والتراث الإسلامي منطلقا تغذيه بالشرعية الدينية ، هذه الممارسة العلاجية التي تعرف توسعا يوما بعد يوم ويزداد الإقبال المكثف للمرضى على ممارسيها طلبا للشفاء ، وهؤلاء الممارسون الذين أصبح حضورهم في المجتمع أكثر من ضروري في نظر الكثير من فئات المجتمع .و ازدادت معه التساؤلات حول عوامل الانتشار الواسع لهذه الأشكال العلاجية المرتبطة بالدين وتأثيرها على صحة المرضى. وهذا ما دفعنا إلى هذه الدراسة في المجتمع الجزائري باعتباره نموذج عن مجتمعات كثيرة من العالم الإسلامي التي عرفت توسعا وحضورا كبيرا لهذه الممارسات.

Religion and its relation to health and disease

An anthropological approach to the spread of various forms of religious therapies in Algerian society

abstract:

Despite the remarkable scientific revolution in the various fields of medicine, which has been able to answer many of his questions related to health and disease, in recent years there has been a large-scale return in many parts of the world to many practices and forms of traditional medicine and treatment, Religious. In the Islamic world, this form of treatment is taken from the Qur'an, the Prophet's biography and the Islamic heritage, a platform fueled by religious legitimacy. This therapeutic practice, which is known to expand day by day, is becoming more and more popular. Many groups of society looked at him and questioned him about the widespread factors of these therapeutic forms associated with religion and their impact on patient health. This is what led us to study in Algerian society as a model for many societies in the Islamic world that have witnessed an expansion and a great presence of these practices.

المنارة للاستشارات

www.manaraa.com

في الوقت الذي يعرف فيه الطب الحديث توسعا وانتشارا هامين في المجتمع يظهر من خلال العدد الكبير للمستشفيات والعيادات العمومية والخاصة ، تحاول استخدام أحدث التقنيات في تشخيص الأمراض وعلاجها ، نلاحظ عودة واسعة النطاق إلى ممارسة أشكال عديدة من التطبيب والعلاج التقليدي، خاصة منها العلاج الديني متخذة لها من السيرة النبوية والتراث الإسلامي منطلقا تغذيه بالشرعية الدينية ، هذه الممارسة التي تعرف توسعا يوما بعد يوم ويزداد الإقبال المكثف للمرضى على ممارسيها، هؤلاء الذين أصبح حضورهم في المجتمع أكثر من ضروري في نظر الكثير من فئات المجتمع .

ظاهرة ينظر إليها البعض بأنها ظاهرة اجتماعية، وينظر إليها البعض الأخر بأنها ظاهرة ثقافية في حين يذهب البعض الأخر إلى وصفها بأنها تعبير عن الصحوة الدينية الإسلامية الجديدة ،وغيرها من التفسيرات والمقاربات وهي عديدة ، أما بالنسبة إلينا .

فالسؤال الذي دفعنا إلى هذا البحث وهذه الدراسة هو: **ما دوافع الناس للإقبال على هذه الأشكال من الممارسات العلاجية؟ و ما هي العوامل التي أدت إلى انتشارها بهذا الشكل الواسع في أوساط المجتمع؟**

و للإجابة عن هذه الإشكالية المتعددة العوامل جاءت دراستنا الأنثروبولوجية لهذه الممارسات العلاجية معتمدين على أداة الملاحظة بالمشاركة للإلمام بالظاهرة في واقعها الاجتماعي وكذا الاعتماد على أداة المقابلة المفتوحة لفهم تصورات الناس للصحة والمرض ، ودوافع إقبالهم على هذا النوع من العلاجات.

1- مفهوم الدين:

الدين ظاهرة كونية في الحياة الإنسانية منذ أقدم العصور وحتى الآن، ولا ندري أن يكون هناك مجتمع في الماضي أو الحاضر لم يؤمن بعقيدة دينية من نوع آخر،

وعلى الرغم من اجتهاد علماء الاجتماع والانثروبولوجيا لإيجاد مفهوم دقيق وموحد له فقد فشلوا في ذلك وراحت تفسيراتهم تنطلق من تصورات وخلفيات عديدة.

فبينما يذهب جميس فريزر J. Frazer ومعه تايلور Tylor إلى القول بأن الدين يقوم على فكرة عبادة الأرواح الطبيعية أو أرواح الأفراد، أي على أساس الاعتقاد بوجود قوى غيبية مشخصة[1]، يذهب أميل دوركهايم الى اعتبار الدين حاجة اجتماعية ضرورية لتحقيق التعاون والتكافل في إطار ما يعرف بالتضامن الميكانيكي خاصة عند المجتمعات المسماة "بدائية" أين يكون التقسيم الاجتماعي للعمل بسيط وتكون للدين القدرة على دمج أفراد المجتمع. لكن الدين لا يصبح "حاجة اجتماعية" عند المجتمعات "المتقدمة" والتي تمتاز بأشكال معقدة وموسعة للتقسيم الاجتماعي للعمل ويسودها نمط "التضامن العضوي"، عندما يصبح العلم وحده الأساس الذي يحكم هذه المجتمعات "المتقدمة" وليس الدين. فالدين عنده يعتبر شكلا من أشكال إسقاط للتجربة الاجتماعية، فلا وجود لظاهرة دينية خالصة، فالظاهرة الدينية هي دائما ظاهرة تاريخية، اجتماعية، ثقافية ونفسية (...)[2].

وفي فترة ما و نتيجة تغيرات اجتماعية وسياسية عميقة وفي نفس الوقت وبتفاعل معها، نتيجة تغيرات على مستوى المعرفة (...) كل هذا جعل هناك تراجعا للدين، نلمس ذلك بصورة واضحة في تهميش الكنيسة (والمسجد كذلك) وفقدانها لسلطتها الدنيوية وفصلها عن الدولة[3] .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مما دفع ب"دوركهايم"، ومن قبله "سان سيمون"،وغيرهم يدعون بضرورة إزالة ما يسمى "الدين التقليدي". وتعويضه "بدين الإنسان" عند الأول و "المسيحية الجديدة" عند الثاني، والبحث عن دين جديد حامل للقيم الإنسانية السامية، لا يتطلب أي كنيسة ولا أي تنظيم، ديانة جديدة مؤسسة على مثل وقيم جديدة (...) إنها "ديانة تعويضية" عند فيبر (weber) كانتصار العقلانية وفقدان العالم لسحريته وغربته إذا هناك تحول في العقيدة، لا يعني عند فيبر نهاية الدين، ولكن ظهور أشكال جديدة للتدين، تغزو المجال الاجتماعي الذي أصبح متحررا من وصاية الديانات التاريخية (...)، ومن هنا اختصرت الظاهرة الدينية في مستوى المعتقد والقناعة الروحية الفردية، مكتفية بالبعد النفسي لتحليل الظواهر ذات الأصل الديني، وهذا ما يفسر خاصة تركيز علم الاجتماع الديني الانجليزي على المعتقد الجماعي، ونوعية الأنساق الرمزية المشتركة، وكان أيضا اهتمام علم الاجتماع الفرنسي بالممارسة الروحية الجماعية والعلاقة الممكنة بين الدين والمجتمع (...)[4]ولكن هل يمكن فعلا التحدث عن تراجع للدين؟ وهل باستطاعة العلم والنظريات الوضعية أن تملأ وظائف الدين التي ليست مجرد وظائف معرفية، عن ماهية الإنسان وعن مكانته في الكون؟

لقد عرفت أطروحات ونظريات تراجع أو زوال الدين في مقابل تقدم العلم في السنوات الأخيرة إعادة نظر[5]، يقول "ماكس نوردو Nordou : "إن الشعور الديني إحساس أصيل في الإنسان...وستبقى الديانات ما بقيت الإنسانية وستتطور بتطورها وستتجاوب دائما مع درجة الثقافة العقلية التي تبلغها الجماعة"[6] ويذهب أرنست رينان E. Renan في دراسة له في تاريخ الأديان إلى :"إنه يمكن أن يضمحل كل شيء، نحبه، وأن نبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة، ولكن يستحيل أن ينمحي التدين، بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي، الذي يريد أن يحصر فكر الإنسان في المضايق الدينية للحياة الأرضية"[7]

وهذا ما يؤكده أيضا الأستاذ محمد أركون بقوله:"إن الخطاب الديني بتحديده الألسني والسيميائي يجيش الأسطورة والرمز والحكمة والمجاز وحكايات التأسيس وهذا ما يؤمن له خصوبة معنوية (سيمانتية) لم تستنفذ بعد على الرغم من مرور قرون عديدة من الشروح والتفسيرات والقراءات، أما الايدولوجيا (والنظريات) الحديثة فهي ذات طموحات ومزاعم عملية، أنها تستعمل مفاهيم غامضة وغير محددة، ولكن هذه المفاهيم و(الشعارات) سرعان ما تستنفذ وتكشف عن فقرها السيمانتي أو المعنوي"[8]

ومن هذا التقديم يمكننا القول أن تهميش وإبعاد الدين كمفسر ومرجعية للكثير من تصرفاتنا وسلوكياتنا، والظواهر المحيطة بنا أمر سخيف، لأنه في الواقع كلما ازداد تقدمنا العلمي يزداد عمق إيماننا بقدرة الخالق سبحانه لإدراكنا دقة التنظيم ووحدة القوانين المسيطرة على الكون وعلى المادة الحية والمادة غير الحية، وقد أثبت العلم اليوم أن هناك قوى في الوجود لا يمكن أن تكشفها وتنالها أدق المجاهر والمقاييس لقوله تعالى: " سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ " (فصلت :53). وان المعتقدات الدينية مهما كان محتواها لا بد أن تشترك في عنصر واحد وهو الإيمان بوجود قوة خارقة أعظم تسيطر في النهاية على المصير الإنساني، وان الدين أيا كان لا بد أن يلعب دورا مهما في حياة معظم المجتمعات، وأن يلعب دورا ما، مهما كان حجمه، في حياة كل فرد، في فترة أو أخرى من فترات حياته[9]. ومن أكثر الميادين التي يحضر فيها الدين و المعتقدات الدينية ما تعلق بالصحة والمرض وأساليب مواجهته ، فالمعتقدات الدينية

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المتعلقة بوجود الإنسان والمخلوقات المختلفة وعلاقتها بالكون وبني البشر ، ورؤية الإنسان للحياة والموت والصحة والمرض ، وتأثير الموجودات الطبيعية وفوق الطبيعية عليه كالجن والأنهار والنباتات والرياح والحيوانات ، تمارس تأثيرها الواضح على سلوك الناس داخل الثقافة الواحدة لتفسير أسباب المرض وكيفيات علاجه والشفاء منه[10].

وهذا ما جعل الكثير من الباحثين في ميدان العلوم الطبية والانثروبولوجيا يتفطنون إلى العلاقة بين الممارسات الطبية والمعتقدات الدينية لدى الشعوب التقليدية من أمثال الطبيب والباحث الانثروبولوجي ريفرز W.H.Rivers الذي اصدر كتابا عام 1927 بعنوان " الطب والسحر والدين" والذي تبعه كثيرون من العلماء[11] عكفوا على دراسة علاقة الدين بالصحة والمرض أو ما اصطلح عليه " العلاج الديني" .

2- العلاج الديني:

"العلاج الديني[12]" او "العلاج الشعبي الديني" أو "الطب الشعبي الديني"[13] كما يعرفه الباحثون هو احد الوسائل العلاجية للوقاية، أو الاستشفاء أو الحماية من مرض ما أصيب به الشخص[14].انه استخدام المعتقدات الدينية الغيبية في علاج الأمراض النفسية والجسمية[15] أي انه العلاج الذي يتكأ على الدين هادفا إلى توظيف الدين في علاج العديد من الاضطرابات النفسية والعضوية بكافة صورها وأشكالها التي يعاني منها الفرد حتى نصل بالفرد إلى السعادة والاطمئنان [16] ويكون في الإسلام بالاعتماد في المحل الأول على العلاج بالقرآن، وكذا الأحاديث والأفعال النبوية، أو بعض القراءات الدينية عند المسيحيين و اليهود، وعادة ما يتم العلاج داخل المؤسسات الدينية كالمساجد والجوامع والكنائس، ولعل الارتياح النفسي في وجود صلة بين الدين والعلاج ينبع من ثقافة المجتمع فيما ينظر أعضاؤه إلى حماية الدين وقوته في صد الغيب عن الأفراد[17]

ويرى "فوستر" أن العلاجات الدينية والسحرية تسود في أكثر المجتمعات التي تؤمن بالأمراض فوق الطبيعية التي تسببها العوامل الخارقة للطبيعة كالسحر، الأرواح، العين...الخ)[18] وهذا ما يلزم اللجوء سواء لطرق العلاج الروحية والدينية أو الغيبية أو لأشخاص يتمتعون بصفات روحية متميزة في مجتمعهم أو أنهم ينتمون إلى مؤسسات روحية من نوع أو آخر (رجل الدين، الكاهن، القس، والشامان...الخ) مما يكسبهم هذه الصفة الروحية في نظر من يقصدهم للعلاج[19].

وللتأكيد فإن أغلب الباحثين يعتبرون العلاج الروحي، سواء استند على المعتقدات البدائية أو المعتقدات الدينية الحضارية التاريخية، بأنه علاج ديني[20]. وعلى الرغم من أن بعض علماء النفس وعلى رأسهم "فرويد" يرفضون ولا يعترفون بالدور العلاجي للدين، وينظرون إلى المعتقدات الدينية أنها مجرد أعراض مرضية نفسية من الفكر التسلطي والفعل القسري"[21]، يذهب كل من "أدلر" و "يونغ" إلى أن المعتقدات الدينية مكونات أساسية في توازن الحياة النفسية"، وفي رأي يونغ أن الكثير من مظاهر القلق وعدم الاستقرار والإيذاء التي يتصف بها أبناء القرن العشرين (وأبناء اليوم) إنما تنجم عن واقع أن طاقتهم لم تعد تسري في رموز دينية (...) وأن عدد كبير من المثقفين زاد عدم اكتراثهم بمسائل الدين[22].

في السنوات الأخيرة نجد أن الدراسات السيكولوجية الحديثة قد أدركت أهمية ووظيفة العبادة في ضمان وتحقيق الصحة البدنية والنفسية والروحية للشخص[23]، كما جاءت النتائج العلمية والطبية في الدول الأكثر تطور في مجالات العلوم والأبحاث الطبية تؤكد أن الاستغراق في العبادة يفتح أفاقا من الشعور

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالتسامي ويقدم عونا على التخلص من آلام ومعاناة النفس والشفاء من الاضطرابات كالقلق والتوتر والكآبة وتأثيراتهم البدنية، وكذلك تحمل الألم العضوي، قال د. لورنس ميكيني* عميد المؤسسة الأمريكية لعلاج الاضطرابات الذهنية: " إن ممارسة التأمل العميق باعتباره صورة من الخشوع قد يساعد في حد ذاته على التغلب على الشعور بالألم النفسي والإحباط ويفرغ شحنات الشعور بالتعاسة وفقدان الأمل حتى عند غير المؤمنين" ، وهو ما يؤكده أيضا د. مايكل ماكلوف من جامعة دالاس بالولايات المتحدة الأمريكية بالقول: "يمثل الإيمان والعبادة صمام أمان للتأثيرات الطبيعية الوجدانية – النفسية والروحية–"[24] ومن هنا يمكننا القول أننا لو فهمنا الدين على ما ينبغي أن يكون لأيقنا أنه لا يمكن رفض الرأي القائل بأن الدين بمفرده يمكن أن يحل الكثير من المشاكل الرئيسية سواء التي تعلقت بالجانب المرضي والعلاجي أو المشاكل الاجتماعية وغيرها.

وإذا كانت الأمراض في الإسلام أخذت العديد من التصنيفات ،منها ما ارتبط بالروح ومنها ما تعلق الجسد وغيرها ، فكذلك العلاجات قد أخذت أشكالا مختلفة تماشيا وطبيعة المرض ويمكن تصنيفها إلى مجموعتين أساسيتين :

1–العلاجات الروحانية ومنها العلاج بالصلاة ، العلاج بالصوم ، العلاج بالصدقات ، العلاج بالأدعية النبوية والعلاج بالرقية الشرعية

2–العلاجات الطبيعية ومنها العلاج بالأعشاب والمواد الطبيعية كالعسل ، العلاج بالحجامة والعلاج بالكي وغيرها.

وقد انطلقنا في تصنيفنا هذا من عدد هام من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي جاءت تحث على التداوي والاستشفاء

نذكر منها:قوله سبحانه وتعالى :" وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ " (الإسراء:82) وقوله تعالى: " قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاء" (سورة فصلت: 44)، وقوله: " يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" (سورة النحل: 12) و قول النبي – صلى الله عليه وسلم " صوموا تصحوا" (حديث شريف) وكذا قوله – صلى الله عليه وسلم –: (الشفاء في الثلاث :كية نار ، أو شرطة محجم ، أو شربة عسل) .

ومن أكثر أشكال العلاجات الدينية المنتشرة بمنطقة الدراسة والتي كانت محل اهتمامنا ودراستنا نذكر:

ا–العلاج بالرقية الشرعية : الرقية في اللغة تعني العوذة أو التعويذة، أي عوذ ونفث في عوذته.[25] والعوذة التي يرقى بها صاحب الآفة كالحمى و الصرع وغير ذلك من الآفات[26] أما اصطلاحا فالرقية ألفاظ خاصة يحدث بسببها الشفاء والأدواء و الأسباب المهلكة.[27]

وهي ممارسة علاجية معروفة عند العرب و عند الأمم من غير المسلمين قديما و حديثا وهي عند الشعوب الغير إسلامية من فروع السحر و الشعوذة بينما في الإسلام هي من فروع علم القرآن[28].

وبمجيء الإسلام، أبقى الرسول عليه الصلاة والسلام على بعض الرقى ونهى عن البعض الأخر منها وميز بين نوعين من الرقى، فمنها الرقى الشرعية (المباحة) و الرقى الشركية (المحرمة) ،والمقصود بالرقى الشرعية هي تلك الرقى التي تتوافق مع الشرع الإسلامي و تتم بقراءة القرآن و الأدعية و الابتهالات ، ومما ثبت عن ممارسة الرسول (ص) وما أباحه من رقى والتي أخذها صلى الله عليه وسلم عن جبريل عليه

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلام الذي كان يرقيه في مرضه ، ويذكر الشيخ ابن تيمية أن الرسول (ص) أجاز ممارسة بعض الرقى ما لم يكن فيها شرك حيث يقول انه ثبت عن النبي (ص) (أنه أذن في الرقى ما لم تكن شركا)، وكان صلى الله عليه وسلم يقول" من استطاع منكم أن ينفع أخاه فليفعل"(حديث شريف)[29].والخلاصة: فالرقية ممارسة علاجية دينية (إسلامية) ، تعتمد قراءة القرآن و الأدعية و الابتهالات، يقوم بها المعالج بدون كلل أو ملل إلى غاية حصول الشفاء بإذن الله.

ب–العلاج بالحجامة : الحجامة طريقة طبية قديمة كانت تستخدم لعلاج كثير من الأمراض؛ حيث استخدمت من قبل مختلف الشعوب القديمة وعلى نطاق واسع. فقد استخدمها الآشوريون منذ اكثر من 3300 سنة قبل الميلاد كذلك استخدمها الفراعنة لعلاج بعض الأمراض ، أما عند الصينيين فإن الحجامة مع الإبر تعتبران أهم ركائز الطب الصيني التقليدي حتى الآن، وكذلك استخدمها الأطباء الإغريق ووصفوا طرق استخداماتها واستطباباتها. وقد عرف العرب القدماء الحجامة، ربما تأثرًا بالمجتمعات المحيطة بهم.

و**الحِجَامَةُ**: لغةً تعني المَصّ ، وفي الاصطلاح تعني إخراج الدم من الجسم بتشريط الجلد وجذب الدمَ في العروق إلى موضع الحجامة، وهي طريقة تساعد بتخفيف الألم، وتعالج بعض الآفات الموضعية مثل الالتهابات العضلية و المفصلية ونحوها.[30]

أما عن ارتباطها بالدين الإسلامي فيعود الى ما ثبت عن الرسول صلى الله عليه وسلم من استعماله لهذا العلاج والتوصية به ففي الصحيحين أن النبي (صلى الله عليه وسلم) احتجم وأعطى الحجَّام أجره، كما أثنى الرسول (صلى الله عليه وسلم) على تلك الممارسة، فقال كما جاء في البخاري: (إنَّ أمثَلَ ما تَداوَيتُمْ بِهِ الحِجَامَةُ)[31].

وقد تداولها أكثر الأطباء العرب القدامى في كتبهم ونذكر منهم الرازي و ابن سينا و الزهراوي وغيرهم ممن اشتهروا بالطب النبوي وخصصوا لها فصولا كاملة بالشرح والتدقيق[32].

ج–العلاج بالأعشاب والمواد الطبيعية: والمقصود بها الاستشفاء بالأعشاب الطبيعية ، وهي من أقدم أنواع العلاجات التي عرفها الانسان في تاريخه ، أما عن ارتباطها بالدين الإسلامي فيعود الى استخدام الرسول عليه السلام لبعضها للاستشفاء في بعض حالات المرض التي أصابته عليه الصلاة والسلام. ومنها ما ذكره **أبو سلمة يحيى بن خلف قال حدثنا أبو عاصم عن عثمان بن عبد الملك قال سمعت سالم بن عبد الله يحدث عن أبيه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "عليكم بهذه الحبة السوداء فإن فيها شفاء من كل داء إلا السام"[33]** (صحيح البخاري) **859 و 863.**

وجاء عند ابن ماجه والحاكم وحسنه العلامة الألباني بشواهده في الصحيحة (1798) أن النبي صلى الله عليه و سلم قال: «عليكم بالسنى والسنوت فإن فيهما شفاء من كل داء إلا السام. قيل: يا رسول الله، وما السام؟ قال: الموت».

والسنى: نبات كأنه الحناء، زهره إلى الزرقة وحبه مفرطح إلى الطول، وأجوده الحجازي، ويعرف بـ (السنى المكي) كما في المعجم الوسيط[34] (457/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والسنوت: العسل. وقيل: الكمون. كما في النهاية (407/2) وبالثاني جزم في الوسيط (453/1) .

3 – تفسير المرض في الإسلام:

إذا كان مفهوم المرض في نطاق المجتمعات الغربية الحديثة مرتبط بالنظرة العلمية[35] فإنه في نطاق المجتمعات التقليدية يرتبط بالثقافة وبالنسق الثقافي السائد، وهي الفكرة التي تؤكد عنها الباحثة Scott التي ذهبت إلى أن " المرض مفهوم وتصور خاص في نطاق المجتمعات التقليدية ويتعامل السكان مع المرض كظاهرة إعجازية تعلو عن مستوى الطبيعة حيث يرتبط لديهم بالسحر والممارسات السحرية والدين والممارسات الدينية، وفي اختيارهم لأنماط العلاج والمعالجين"[36].

و يصف الدكتور"علي المكاوي" المرض بأنه "حالة إنحراف" سواء كان فيزيقيا أو نفسيا أو اجتماعيا عن الأداء الوظيفي السليم والسوي وقد يكون لهذا الانحراف نتائج غير مرغوبة حيث يسبب إزعاج للشخص المريض من ناحية وقد يخلق مشكلات اجتماعية للأفراد والمجتمع ككل[37]، ويضيف أن فهمنا للصحة والمرض لن يكتمل إلا بعد إدراجهما في"السياق الاجتماعي"والذي يعد بحق الإطار الأشمل الذي تتدرج فيه الصحة والمرض فيضفي عليهما الصبغة الاجتماعية.[38]

جاء الإسلام يؤكد أن الإنسان عرضة للأمراض ودعا إلى التداوي منها ملخصا فيما رواه الترمذي حين ذكر أن الأعراب قالت: يا رسول الله أ نتداوى، قال: "نعم يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء أو دواء"[39] ، و المرض في الإسلام يأخذ الكثير من المعاني حيث يتداخل الثقافي بالاجتماعي والديني بالإضافة إلى رؤية الجماعة (المعالجون والمرضى) للمرض نفسه.

فعند البعض يأخذ المرض معنى وتفسير أنه عقاب إلهي ناتج عن ضعف إيمانهم وابتعادهم عن الدين "منطق المصيبة" عند فرانسوا لابلانتين.[40] ويذهب البعض الآخر إلى اعتبار أن المرض اعتداء من قوى فوق طبيعية كالجن، أو من أشخاص أشرار (كما يحدث في حالات السحر، العين والحسد...) ،و عند آخرين تفسير بأنه اختبار وامتحان إلهي لمعرفة مدى إيمان البشر بالله، وفي كثير من الأحيان يفسر المرض كونه مكفرا عن الذنوب والخطايا التي قد يرتكبها أو يقع فيها بنو الإنسان.

إن محادثاتي مع المرضى والمعالجين الدينيين، وكذا بالاعتماد على المراجع الانثروبولوجية والاجتماعية التي تناولت مواضيع الصحة والمرض ، سمحت لي باستنتاج تفسيرات و معاني متعددة قد يتمثلها المرض نحاول أن نرتبها بالشكل التالي وإن كانت قد تتداخل معانيها في الكثير من الأحيان.

أ– المرض ابتلاء وعقاب:

إن الكثير من المعالجين والمرضى يفسرون المرض بأنه ابتلاء من الله يصيب الفرد و من خلاله الجماعة نتيجة حالة الإهمال والتكاسل في أداء العبادات وعدم احترام المبادئ الدينية، وهذا واضح جدا في كيفية تفسير المعالج للمرض "فالمعالج الديني في بداية ممارسته العلاجية يحاول دائما تهدئة أعصاب المريض المضطربة ويزرع فيه الطمأنينة والثقة بربه أولا وبنفسه ثانيا، حيث يؤكد للمريض أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذا المرض ابتلاء وأنه إن شاء الله من علامات حب الله له"[41] .ولكن هذا الوصف والتفسير للمرض كابتلاء ليس لكل الناس،فإذا مرض إنسان بداء عضال، وكان له بين الناس مكانة مرموقة، أو أنه إنسان في نظرهم صالح، فإنهم يعللون مرضه بالقول أن الله يبتلي عباده الصالحين، ليعلم من منهم الصابر ومن منهم القانط[42]. و يكون الابتلاء مقترنا بالمغفرة وتخفيف الذنوب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ورفع درجة المريض الصابر عند الله درجات، و أن أكثر الناس تعرضوا للابتلاء هم الأنبياء ومنهم النبي أيوب (عليه السلام). إن هذا التفسير والمعنى الذي يقدمه المعالجون ويقتنع به المرضى، من شأنه أن يخفف من وقع المرض على المريض وأن يساعده على الشفاء. ولكن في نفس التصور فإن الابتلاء يأخذ معنى العقاب الذي يسلطه الله على من لا يحترم الدين ويطبق قواعده سواء فيما تعلق بأداء العبادات أو ما تعلق بعلاقات الفرد بالناس "فإذا مرض إنسان آخر بنفس المرض العضال، لقيل إن الله ابتلاه بمرض رهيب عقابا له على ما اقترفت يداه من ذنوب في حق الناس"[43]. وأن الطريق إلى الشفاء لا يكون إلا بالتكفير عن الخطايا والذنوب و بالعودة إلى الالتزام بالعبادات المختلفة، أو برد حقوق الناس إليهم، والتكفير عنها بالتوبة الخالصة لله.

وفي التفسير الانثروبولوجي يقدم "فرانسوا لابلانتين" تفسيرا مماثلا لكنه يعمم تأثير المرض من الفرد على الجماعة بقوله: "المرض يأخذ شكل تحذير يجعلك تعتقد بأنك ارتكبت خطأ عمدي أو غير عمدي، و للعودة للنظام يتطلب إصلاح ودعوة إلى ترميم علاقات الجماعة مع ذاتها التي هي مهددة بالخطر من خلال مرض الفرد الواحد"[44] وهو ما اصطلح عليه "منطق المصيبة" فيقول: "إن المرض ينخرط في منطق كلي للشر والمصائب، فإنه لا يتم النظر إليه، أبدا باعتباره إصابة لعضو ما من جسد، بل نكاد نقول إن فردا ما بكامله، وأكثر من ذلك الجماعة بكاملها التي ينتمي إليها هذا الفرد هي التي تصاب....وهذا يستدعي رد فعل جماعي يصدر عن الجماعة بكاملها"[45] وهذا ما ذهب إليه المختصين في علم النفس الإسلامي بالتأكيد على أهمية الدين في شعور المرضى بالأمان و الابتعاد عن الفوضى والضياع،[46]. و هو ما ذهب إليه أيضا عالم النفس كارل غوستاف يونغ في السابق الذي قرر أنه وجد في نهاية تحليله الطويل في العلاج النفسي:" إن معظم المرضى إنما قد أصابهم المرض بسبب افتقادهم للشعور بالإيمان الديني"[47]

وبالعودة إلى معنى المرض كابتلاء يمكن أن نحصر هذا المعنى فيما يلي:

1- المرض عقاب إلهي عادل (وليس "كهجوم مرضي إلهي قاسي وسيء")[48] لما اقترفه الأشخاص من ذنوب في حق العبادات(الدين) أو حق الناس.

2- وقد يأخذ المريض بهذا الشكل "الحالة المذكورة" معنى الإنذار إلهي للمخطئين من الجماعة وعقاب مستحق عن الذنوب المقترفة، ليحذر الجماعة من خلال مرض الفرد إلى ضرورة العودة إلى احترام حقوق الأفراد وتأدية العبادات والإخلاص فيها لله، وبذلك إعادة بناء نظام الجماعة. إن هذا هو الأساس والغاية عند الكثير من المعالجين بالاعتماد على الدين بالتركيز على النصائح التي توجه إلى الفرد (المريض) وإلى جماعته (الأسرة تكون في الغالب معنية بالتكفل بالمريض) و إلى المجتمع من خلال الدعوة للالتزام بأداء الصلوات وصلاة الجماعة خاصة، والإكثار من قراءة القرآن، والذكر والأدعية...الخ

3- إن الابتلاء بالمرض قد يكون عند الأشخاص الصالحين المعتدلين عادة ذا معنى أسمى يطهرهم ويخفف من ذنوبهم "إنما المرض يعاش كحالة ذات قيمة لأنها تجلب بعدها السعادة والطهارة..."[49]

ب- المرض امتحان:

يأخذ المرض عند الكثير من المرضى والمعالجين شكل امتحان إلهي رباني يختبر الله عباده ويمنحهم الأجر والثواب على قدر صبرهم وتحملهم للمصائب التي ابتلاهم الله بها.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

يختبرهم ليميز بين المؤمنين الصادقين والمنافقين في الدين لقوله سبحانه: " الم، أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ، وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ" (العنكبوت:1-3)

إذن فالمرض يضعنا أمام امتحان واختبار صعب، فإما الفوز أو الخسران، والأجر يكون على قدر المعاناة والألم إذا كان فيه صبر واحتساب. ونفهم من هذا الامتحان أن ليس القصد منه فتنة الناس والعباد في أمور دينهم ودنياهم ولكن تقوية إيمانهم ورفع بعضهم درجات عند الله، هذا ما يسميه فرانسوا لابلانتين بعبارة "المرض المكافأة"[50]. إن هذا المعنى للمرض الذي يقدمه الرقاة لمرضاهم يكون له دور ووظيفة كبيرة في عمليات الاستشفاء والعلاج، فإدراك المريض أنه محل امتحان واختبار إلهي يجعله يقاوم المرض بشدة ويصبر على الآلام التي يرتفع بها عن الآخرين درجات، ويتحول المرض هنا إلى مكافأة حقيقية، لأن الإنسان الذي لا يبتلى يكون في الغالب في غفلة عن الله وقد تدفعه غفلته إلى الوقوع في الحرام والخطايا والمعاصي.

ولا يكون الابتلاء والامتحان في الجسد فقط ولكن في النفس عندما تتنازع المريض قوى الخير وقوى الشر كالوسواس والسوء، وحتى في ماله وأهله...الخ

جـ- المرض عدوان:

إذا كان للمرض في التفسيرات السابقة معاني الابتلاء والعقاب والامتحان وكلها ناتجة عن تدخل الإرادة الإلهية، فإن (أي المرض) يأخذ في أحيان كثيرة معنى الاعتداء الناتج عن تدخل عناصر خارجية تصيب جسم وعقل الإنسان (كالعناصر المرضية المضرة ، الأرواح الشريرة، وحتى الذات الإنسانية) وفي هذه الحالات فإن المريض غير مسؤول عنها أو أن مسؤوليته غير مباشرة (جزئية).[51]

ففي حالات كثيرة تكون مسببات المرض عناصر مرضية خارجية مثل تناول المريض أطعمة فاسدة، أو شراب فاسد أو مسموم، أو عدم التزامه بقواعد الصحة العامة كالإفراط في التدخين، أو تناول المخدرات والكحول...الخ) أو تأثير تلوث المحيط والبيئة التي يسكنها الفرد أو يعمل بها...الخ. وقد يكون المرض نتيجة اعتداء من ذات إنسانية خاصة فيما يظهر في حالات كثيرة من السحر، فسبب المرض أن سلط شخص ما الأذى على المريض، بشكل مباشر أو غير مباشر عن طريق الاستعانة بالسحرة والمشعوذين أو تسخير الجن والأرواح الشريرة للقيام بذلك عن طريق التعازيم، والرقى السحرية، وتسميم بدن المريض بإعطائه أكلات ومواد مسببة للمرض كالشعر، الأظافر، بعض أجزاء الحيوانات، بعض المواد المعدنية والكيماوية...الخ.[52]

أو يكون عن طريق تعرض المريض للأذى من طرف الشياطين والجن بدون أن يكون مسؤول مسؤولية كاملة عن ذلك ، كذلك الاعتداء عن طريق العين والحسد فالمريض أيضا غير مسئول عن مرضه لكنه قد يتحمل جزء من المسؤولية لعدم تحصنه.

بالإضافة إلى الدعاء الذي يتعرض له المريض مثل دعوة الوالدين الساخطين على أبنائهم العاصين لهم، أو دعوة المظلوم...الخ ، ويقول المعالجون أن المريض في هذه الحالات يتحمل مسؤولية ما تعرض له من اعتداء جاء على شكل عقاب له عن عدم احترامه وطاعته لوالديه، أو ما اقترفه من شر في حق الأفراد

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

بالظلم المعلوم، وللعلم فقد يتحمل الأبناء والأحفاد العقاب عن ما اقترفه أجدادهم من ظلم أو حملوه من دعاء الوالدين.

- الاستنتاج:

انطلاقا من الدراسات الانثروبولوجية التي قام بها بعض الباحثين ومنهم فرانسوا لابلانتين، ومن خلال الدراسة الميدانية وما استقيناه من المعالجين والمرضى يمكن أن نضبط تصور عام لتفسير المرض من خلال رؤية الجماعة في ثلاث تصورات هي:

1- مرض ينتج عن قدر إلهي ورباني بتسليط الأمراض على العباد كعقاب لهم عن ما اقترفوه من ذنوب وخطايا وحرام.

2- مرض ناتج من النفس الإنسانية (مصدر داخلي) سببه تنازع قوى الخير والإيمان مع قوى الشر والشرك والكفر.

3- مرض سببه تدخل خارجي ويتحمل المريض فيها المسؤولية عن بعض الأمراض ومسؤولية محدودة في البعض الآخر.

انطلاقا مما سبق وتقديمنا لمفهوم الدين وأثره في تشكيل تصورات عديدة لمسائل مختلفة اهمها ما ارتبط بالصحة والمرض خاصة ما رأيناه بالنسبة للدين الإسلامي و كيف ساهم في بلورة مواقف الناس اتجاه المرض وتوجيههم إلى أشكالا معينة من العلاجات ، فإننا سنحاول من خلال دراستنا الانثروبولوجية ان نبين العوامل الرئيسية التي ساهمت في العودة إلى العلاج الديني وعوامل انتشاره بهذه السرعة في أوساط المجتمع. وسنعمل على حصرها في العوامل التالية:

ا-نظرة المجتمع إلى العلاج الديني:

كما في جميع المجتمعات يكون أمام المريض اختيارات متعددة بين أشكال مختلفة للعلاج، فمسألتا المرض والشفاء تتحكمان بشكل واضح في سلوك المريض، وتبقى التفسيرات التي يقدمها المعالج. وتخليص المريض من ألآمه ومعاناته هو المعيار الأساسي الذي يحكم من خلاله عن قيمة وجدوى هذا العلاج أو ذاك.

إن الدراسة الميدانية ومتابعتنا للمرضى ، جعلتنا نميز موقفين أساسين عند هؤلاء المرضى.

الموقف الأول: الغالبية من المرضى لا يفرقون كثيرا بين العلاجات الدينية و العلاجات التقليدية الأخرى التي يمارسها بعض المعالجين كالشعوذة، وبعض أشكال السحر، وغيرها ، فالغاية عندهم البحث عن الشفاء من أمراضهم، وإيجاد إجابات لمعاناتهم، وهذه الفئة هي من أصحاب المستوى الثقافي و الاجتماعي و الاقتصادي المحدود، وهي تشكل الأغلبية من المترددين على هذه الأشكال العلاجية (كما بينته التصنيفات في الجداول السابقة).

الموقف الثاني: البعض من أصحاب المستويات التعليمية العليا والمثقفين يحاولون دائما التمييز بين العلاج الديني، وباقي العلاجات الأخرى، بالاعتماد دائما على مدى ارتباطه بالعامل الديني، ومدى توافقه (مع القرآن و السيرة النبوية) ، كما أن اللجوء إلى بعض أشكال العلاجات النبوية حسبهم هو في حد ذاته

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

إحياء للسنة النبوية طلبا للأجر و المحافظة على الدين لقوله –صلى الله عيه وسلم:(تلك سنتي فمن رغب عن سنتي فليس مني) .

في كل الحالات فان لجوء المرضى إلى العلاج الديني يرتبط في اغلب الأحيان بفشل الممارسات العلاجية الأخرى في التخفيف من ألآمهم و إحداث الشفاء. والكثير من المترددين على هؤلاء المعالجين رغم اختلاف درجاتهم ومستوياتهم العلمية يعتقدون انه بدون العودة إلى الدين فان المريض لا يجد الشفاء ويقول بعضهم:" هناك الكثير من الأمراض لا يشفيها إلا القرآن أو ما ثبت من السيرة النبوية"، إذن فالناس يحتفظون بداخلهم بأفكار معقدة حول أسباب المرض وطرق العلاج، وهنا يظهر تأثير عناصر المعتقدات المترسبة بداخلهم. فالمرض في اعتقادهم لا يمكن أن يكون عضويا آو نفسيا فقط ، بل يمكن أن يكون ناتج عن قوى فوق طبيعية وقوى خارجية كالجن والسحر، و العين والحسد، آو نتيجة ابتعادهم عن الدين ، ومهما كانت النتائج العلاجية فان هذه الممارسات ستقوى لديهم الشعور الديني وترفع من درجة إيمانهم ، فيشعر المريض بعدها بالراحة و الاسترخاء ، وهذا ما وصفه كلود ليفي ستروس بـ: "الفاعلية الرمزية"[53] .

وعند البعض الأخر يكون التوجه إلى نوع من أنواع العلاج الديني، نتيجة مرورهم بتجارب سابقة نجح فيها المعالجون في علاج بعض الحالات التي استعصت عن الأطباء، مما يزيد في اعتقاد المرضى وعائلاتهم بأهمية هذه العلاجات وقدرات المعالجون الدينيون، ويصبح اللجوء إلى العلاج الديني أسبق في كثير من الأحيان من لجوئهم إلى العلاجات الأخرى خاصة الطب الحديث .

ب – العلاج الديني وعلاقته بالتغيرات الاجتماعية والاقتصادية:

من المؤكد أن التحولات العميقة التي مست العائلة، المجتمع، الاقتصاد كان لها بالغ الأثر على وجوانب عديدة من حياة الفرد الجزائري، وورطته في صعوبات مادية و اقتصادية ومشاكل اجتماعية كانت أسباب لانتشار الأمراض النفسية والعصبية والجسمية، لتبدأ معها بالطبع رحلة البحث عن العلاج التي تتحكم فيها وتوجهها ذهنيات المجتمع و المقدرة والإمكانيات المادية.

وفي هذا يقول الدكتور" سليمان بومدين":" إننا نلاحظ في السنوات الأخيرة عودة قوية لكل أنواع العلاج التقليدي في الجزائر، ويعزو البعض ذلك إلى الفقر وغلاء المعيشة مما يدفع المواطن إلى التردد مرات ومرات قبل الإقدام على زيارة الطبيب لعجزه عن دفع ثمن المعاينة وثمن الدواء"[54] وهذا ما أكدته دراستنا الميدانية التي بينت أن الغالبية من المترددين على هذه العلاجات اي81 من مجموع العينة المبحوثة 105 أي بنسبة77.14% هم من فئة العاطلين عن العمل أو الأجراء اليوميين، و اغلبهم يعانون مشاكل اقتصادية حادة في ظل مجتمع ارتفعت فيه تكاليف المعيشة كالسكن، الإنفاق على الأسرة وأيضا ارتفاع تكاليف العلاج المختلفة خاصة على مستوى المصحات والعيادات الخاصة أمام تدهور خدمات الرعاية الصحية في القطاع العام، وعجز الدولة عن مضاعفة عدد المؤسسات الصحية (بما يتماشى مع الزيادة السريعة في عدد السكان)) وتحسين خدماتها، و هو ما ترتبت عنه مشاكل صحية جسمية ونفسية حادة تورط الأفراد في القلق والتوتر، الإحباط واليأس ...الخ و"هو ما يقود الناس إلى البحث عن العلاج لدى المعالجين التقليديين وحتى لدى الدجالين والمشعوذين"[55] في حين أن تكاليف العلاج الديني تعتبر في كثير من الأحيان زهيدة وقد يغلب عليها طابع الرمزية حيث يترك الأمر إلى سخاء المريض أو من يرافقه ، بل ان بعض المعالجين يعتبرون العلاج بالقرآن والحجامة وغيرها داخلة في أبواب التعاون على البر

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والتقوى وفعل الخير وإحياء السنة النبوية و طلب الأجر والثواب من الله وحده ، وليست مما يستأكل أو يستكثر أو يسأل الناس به[56] .

ج –تأثير وسائل الإعلام والاتصال: ساهمت وسائل الإعلام و الاتصال المختلفة ابتداء من الصحف و اليوميات "الكبيرة" والقنوات التلفزيونية والإذاعية ومواقع التواصل الاجتماعي عبر الانترنت والهواتف الذكية...) في الترويج والدعاية بطريقة مباشرة و غير مباشرة لمثل هذه الممارسات وهي تبتغي من وراء ذلك تحقيق المكاسب المادية ، دون أن تلعب دورها الأساسي في تعريف الناس بخصوصيات هذا النوع من العلاج و أهميته ، وشروط صحته ، و الشروط التي تتوفر في الممارسين و غيرها ، مما فتح الباب واسعا أمام الكثير من الدجالين و المشعوذين للتلاعب بالمرضى ، و ابتزاز أموالهم والسيطرة عليهم من خلال استخدام الخطاب الديني.

د– هيمنة المعتقدات والأفكار الدينية :

في إطار ومعتقدات شعبية مستمرة، وثقافة دينية مهيمنة هي نتاج جهود حثيثة طوال عقود من الزمن ، قام بها وخطط وبرمج لها عدد كبير من العلماء والمفكرين المحسوبين على التيار السلفي بشكل خاص الذين وجهوا اهتمامهم إلى مجال الصحة والمرض باعتباره احد أهم المجالات للدعوة من اجل إعادة إحياء التراث الإسلامي وأسلمت المجتمع. ومن هنا اتجه الكثير من المفكرين (أصحاب الثقافة العليا) خلال السنوات السابقة إلى إصدار عدد كبير من الكتب والمنشورات التي طرحت في السوق وبأسعار مقبولة وعناوين متميزة، تدور معظمها حول فاعلية العلاج بالقرآن الكريم والسنة النبوية في فضل العلاج بالرقية والحجامة والتداوي بالأعشاب مما ثبت عن الرسول عليه الصلاة والسلام ، وتسابقت دور الطباعة و النشر و التوزيع إلى نشرها و توزيع العشرات من العناوين و الكتيبات تركز كلها على حاجة الناس إلى الشفاء مما يعانونه من أمراض مختلفة ، بالإضافة إلى الأشرطة السمعية و البصرية ، و الأقراص المضغوطة التي تساعد على الشفاء .

إصدارات تقوم على أساس احترام تعاليم الدين الإسلامي وتفعيله ، وتدور محتوياتها حول الصحة العقلية والفكرية والعضوية للإنسان المسلم. ومن أهم هذه الكتب على سبيل الذكر لا الحصر: كتاب ابن القيم الجوزية، حول (الطب النبوي)، وكتاب **التداوي بالأعشاب** لمؤلفه الدكتور أمين رويحة ، وكتاب **أساسيات التداوي بالأعشاب والطب النبوي لصاحبه عبد الباسط محمد سيد وكذا كتاب التداوي بالحجامة (وكيف تصبح حجاما) لمؤلفه عبد الغني الغريني وكتاب** طوق الحمامة في التداوي بالحجامة للشيخ أبي محمد الألفي، وكتابين أساسين وجدناهما عن كل المعالجين هما: الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، وكتاب وقاية الإنسان من الجن والشيطان، لصاحبهما الشيخ وحيد عبد السلام بالي، وغيرها من العناوين.

إن **المعالجين الدينيين** وجدوا في هذه الحركة الجديدة الداعية إلى استعمال القرآن الكريم والسنة النبوية والتراث الإسلامي في العلاج مجالا واسعا لإبراز قدراتهم العلاجية و وتحقيق المكاسب المادية والمكانة الاجتماعية.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبالفعل تحولت هذه الاصدارات البسيطة سهلة التناول إلى وصفات علاجية يقبل عليها ويستعملها المرضى كما يستعملها المعالجون ويعتبرونها كمصادر أساسية لتكوين قدراتهم- وتبرير علاجاتهم، كما ذهب البعض الآخر من المعالجين إلى الاجتهادات بتطوير تلك الوصفات العلاجية الدينية بتوظيف بعض النظريات والتقنيات الطبية الحديثة في علاج مرضاهم بعد تكييفها مع النص والتفسير القرآني وهذا ما يؤكده بعض المعالجين بأنه من الضروري الاطلاع على نظريات أشكال و وسائل العلاج الحديثة للاستفادة منها والإفادة بها إن أمكن.

خاتمة :

لقد تعددت واختلفت دوافع الناس في الإقبال على العلاجات الدينية الإسلامية، ففي زمن التحولات السريعة التي يعرفها المجتمع تزداد المشاكل والأمراض المختلفة التي تصيب الإنسان ويزداد معها البحث عن إجابات لمعاناتهم وعلاجات لأمراضهم وإذا كانت الأمراض العضوية تجد لها علاجات بالأدوية والعقاقير وغيرها، فان الأمراض الروحانية والنفسية لا تجد علاجها إلا من خلال العودة إلى الدين . فالدين يساعد على الاستقرار النفسي عند الأفراد فهو يجيبهم عن أسئلتهم ويمدهم بالقوة للتغلب على مشاكلهم المختلفة ومن هنا يمكن أن نفهم احد العوامل الرئيسية في انبعاث وانتشار العلاج الديني في المجتمعات الإسلامية عامة وفي الجزائر بشكل خاص . فالناس يرون أن ضعف الإيمان والابتعاد عن الدين والافتتان بأمور الدنيا ومشاكلها سبب تعرضهم للأمراض النفسية كالوسواس والقلق واليأس والإحباط وعرضة للأمراض الروحانية والعضوية وانه لا يمكن الشفاء منها إلا عن طريق العودة إلى القرآن وسيرة النبي الكريم وصحابته.

ومن هنا يمكننا العودة إلى ما اجمع عليه عدد كبير من المفكرين بالقول أننا لو فهمنا الدين على ما ينبغي أن يكون لأيقنا أن الدين بمفرده يمكن أن يحل الكثير من المشاكل الرئيسية سواء التي تعلقت بالجانب المرضي والعلاجي أو المشاكل الاجتماعية وغيرها.

الهوامش:

[1] نبيل محمد توفيق السمالوطي، **الدين والبناء الاجتماعي**، الجزء 2، دار الشروق للنشر والتوزيع والطباعة،الطبعة الأولى ، جدة،المملكة العربية السعودية، 1981، ص24-25.

[2] Mircea Eliad, **La nostalgie des origines**,ed: Gallimard, 1971 (P41-48)

[3] رشيد شقير، **حول علمانية الدولة الحديثة**" ،**مجلة الوحدة** ، العدد 13. أكتوبر 1985 (ص 70، 79)

[4] محمد شقرون، " **الظاهرة الدينية كموضوع للدراسة: شروط إمكانية قيام سوسيولوجيا دينية في المجتمعات** "، **المستقبل العربي** العدد 133 مارس 1990 ،(ص ص 24، 31).

[5] المنصف وناس، "**الدين والدولة في تونس 1956، 1987**"، **المستقبل العربي** العدد 131 جانفي 1990 (ص ص 89، 110)

[6] نبيل محمد توفيق السمالوطي، مرجع سابق، ص 48

[7] المرجع نفسه، ص48

[8] د. محمد أركون،"الإسلام والاسلامات، حوار بين فيلسوفين محمد أركون وايف لاكوست" **مجلة الفكر العربي المعاصر**، العدد 35، 1985، (ص127، 136)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[9] د. علي كمال، **العلاج النفسي قديما وحديثا**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط. الأولى، بيروت 1994، ص129

[10] – علي المكاوي: **الانثروبولوجيا الطبية دراسات نظرية وبحوث ميدانية**، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ،مصر ،1994، ص 60

[11] – علي المكاوي ، نفس المرجع ،ص61.

[12] نفس المرجع، ص 129

[13] محمد أحمد غنيم، ، **الطب الشعبي**، ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، الطبعة الأولى مصر، 2007، (ص ص 200، 203)

[14] – المرجع نفسه، ص 199

[15] – فرج طه وآخرون : موسوعة علم النفس والتحليل النفسي ،المكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ،2009 ، ص 147.

[16] – محمد حسن غانم: العلاج النفسي الديني ، المكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ، مصر ، 2016 ، ص ص155،154.

[17] محمد احمد غنيم ، مرجع سابق، ص 200

[18] – بيار بونت، ميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا و الانثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، الطبعة الأولى، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد– بيروت – لبنان، 2006، ص 673

[19] علي كمال، مرجع سابق، ص 134

[20] نفس المرجع، ص 133

[21] نفس المرجع، ص 131

[22] كارل غوستاف يونغ ، **علم النفس التحليلي**، ترجمة نهاد خياطة، الطبعة الأولى، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق 1985،(ص ص 266، 278)

[23] محمد احمد محمد بيومي، **علم الاجتماع الديني ومشكلات العالم الإسلامي**، دار المعرفة الجامعية ، الازرايطة، مصر، ص 226

* صدر له كتاب بعنوان "الدراسات النفسية الدينية" سنة 1994

[24] د. محمد دودح: **الاستشفاء بالقرآن الكريم دراسة علمية ميدانية** www.55a.net/Firas/arabic/index.php?page=show_det&id=1208 يوم 2007/12/15.

[25] ابن منظور ،**لسان العرب** ،دار صادر ،الطبعة الأولى ،بيروت لبنان ،2000 (مجلد 6 ، ص209)

[26] أبو مالك حسن سي العربي: **الرقية بين الانضباط الشرعي والتسيب في الممارسات**، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2000، ص09.

[27] طارق بن علي الحبيب: **العلاج النفسي و العلاج بالقرآن**، مؤسسة جوري الدولية للنشر و التوزيع، الإسكندرية مصر، 2004، ص54.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[28] أبو مالك حسن سي العربي، مرجع سابق (ص ص 09-10).

[*] قال ابن القيم: النملة: قروح تخرج من الجنبين، وهو داء معروف، ويسمى النملة لأن صاحبه يحس في مكانه كتنمل نملة تدب عليه.

[29] عبد المنعم قنديل، **التداوي بالقرآن**، دار الشهاب، باتنة الجزائر، ص ص 127-132.

[30] عبد الناصر كعدان :العلاج بالحجامة في الطب العربي من منظور الطب الحديث

Early Arabic Medicine from Modern Medicine Prospective Treatment by Cupping in

http://www.ishim.net/ankaadan6/cupping.htm **يوم28-12-2016 الساعة 19:30**

[31] الشيخ ابي عبد الباري عبد الحميد بن احمد العربي الاثري الجزائري: **إبلاغ الفهامة بفوائد الحجامة** : تقديم :الشيخ ابو بكر جابر الجزائري ، مكتبة الفرقان ، عجمان ، ص22-23

[32] عبدالناصركعدان :**العلاج بالحجامة في الطب العربي من منظور الطب الحديث** ، مرجع سابق.

[33] محمد بن إسماعيل البخاري : **صحيح البخاري** ، الطبعة الأولى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، دار طوق النجاة ،بيروت ، لبنان ، 1422هـ

[34] **المعجم الوسيط** ، إصدار مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، مكتبة الشروق الدولية ، الطبعة الرابعة ،2004 ، القاهرة.

[35] نخبة من الأساتذة: **الأنثروبولوجيا مداخل وتطبيقات**،دار المعرفة الجامعية،الازرايطة،2001 ،ص 273

[36] مصطفى عوض إبراهيم وآخرون: **الانتروبولوجيا الطبية**- دار المعرفة الجامعية –الإسكندرية 2005، ص 199.

[37] علي مكاوي: **الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية**، دار المعرفة الجامعية 1988 – ص 54

[38] علي مكاوي: **الجوانب الاجتماعية والثقافية للخدمة الصحية** – ص 54.

[39] سعيد عبد العظيم ، مرجع سابق- ص8.

[40] فرانسوا لابلانتين، **المسلمات المشتركة بين مختلف الأنظمة العلاجية التقليدية الإفريقية** ترجمة محمد أسليم، نسخة إلكترونية htpp.//aslimnet.Free.Fr/traduction/obhath/abrath3.htm

[41] **موقع منتدى الأسرة والطفل**، عنوان المقال "أسئلة لها صلة بالشفاء عن طريق الرقية الشرعية" www.muslm.net/vb/index.php يوم 2008/01/10

[42] عبد المحسن صالح، **الإنسان الحائر بين العلم والخرافة**، عالم المعرفة، الطبعة الثانية المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ، 1998، ص 81.

[43] نفس المرجع، ص81

[44] François Laplantine: **Anthropologie de la maladie**, payot,Paris 1992, P73

[45] فرانسوا لابلانتين: المسلمات المشتركة بين مختلف الأنظمة العلاجية التقليدية الإفريقية ترجمة محمد أسليم، نسخة إلكتروني htpp.//qslimnet.Free.Fr/traduction/obhath/abrath3.htm

[46] عبد الرحمان العيسوي: **الإسلام والعلاج النفسي الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ص232

[47] – كارل غوستاف يونغ، المرجع السابق، ص ص (176، 178)

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[48] François Laplantine: Anthropologie de la maladie, payot, Paris 1992,p139
[49] François Laplantine.op.cit.p139
[50] Saïd Bououne. La résurgence d'une pratique thérapeutique religieuse, « al Ruqya ». ses liens avec la salafya, Thèse du Doctorat, Université PAUL CEZANNE, Aix en Provence 2004, p 88.
[51] Said Bououne, op.cit, P 90.

[52] وحيد عبد السلام بالي : الصارم البتار في التصدي للسحرة الأشرار، الطبعة العاشرة، دار الإمام مالك، الجزائر، 1997، ص ص 109-111.

[53] انظر :كلود ليفي ستروس، الانثروبولوجيا البنيوية، ترجمة مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، سوريا، 1977، (ص ص 238 -239).

[54] سليمان بومدين: **التصورات الاجتماعية للصحة والمرض في الجزائر**، حالة مدينة سكيكدة، رسالة دكتوراة غير منشورة جامعة منتوري، قسنطينة، 2004/2003، ص193.

[55] سليمان بومدين، **نفس المرجع** ، ص193.

[56] أبو مالك حسن سي العربي: الرقية بين الانضباط الشرعي والتسيب في الممارسات، دار النجاح للكتاب، الجزائر، 2000، ص 110

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com